

## محمد موسى شفيق.. تراجيديا تصفية أكبر مسؤول أفغاني بتهمة بيع مياه نهر

وشهدت العاصمة الأفغانية كابول في مارس 1973 توقيع اتفاقية لتنظيم الاستفادة من مياه نهر هلمند. وكان وفدا البلدين قد أعدا المذكرة الخاصة بالاتفاقية التي وقعها كل من شفيق ورئيس الوزراء الإيراني عباس هويدا. ولم تسترح القيادة السوفيتية لاتساع سلطات شفيق، فلقوا إلى السردار محمد دود، وطرحوا عليه خطة الانقلاب، الذي نفذ في يونيو من نفس العام والملك محمد ظاهر شاه في إيطاليا.

وتم القبض على شفيق، وظل في السجن نحو عام ونصف العام، وأفرج عنه الرئيس محمد داود، وجعله مستشارا لمستفيد من خبراته الواسعة، حتى وقوع الانقلاب المدعوم من موسكو في أبريل 1978، فقتلوا السردار محمد داود وقتله هو وأولاده وأحفاده والمحيطين به.



سعد القرش  
روائي مصري

القاهرة - تقدم النهاية المتساوية لآخر رئيس للوزراء في أفغانستان الملكية دروسا قلما يتعلم منها حاكم. أولها أن هشاشة الدولة تسمح باختطافها في انقلاب قليل التكلفة، وثاني الدروس أن المستقوي بطرف خارجي على انقلاب سيكون هو ضحية الانقلاب التالي. أما الدرس الثالث فهو أن الطغاة يجلبون الغزاة، ولا يخرج الغزاة إلا بئس كبير لنيل الاستقلال، وبئس أكبر في حرب أهلية طويلة المدى، يرى كل فريق جدارته بالحكم؛ ثمنا للفاخرة التي بذلها في "الجهاد". والدرس الرابع هو بحث المنتصر عن سبب للقتل، وكما وجد الاحتلال الأمريكي للعراق في قضية الدجيل زريعة لإعدام صدام حسين، فقد تمت تصفية رئيس الوزراء الأفغاني بتهمة بيع مياه نهر.

وليست الملكيات كلها شرسا كما يزعم البعض. وكثيرا ما تلجأ حركات الاستقلال إلى شيطنة الأنظمة الملكية، حتى لو كانت ملكيات دستورية لا تمنح الملوك أكثر من التوقيع على المراسيم، ويؤمنون من حق المواطن في التصريحات الناقدة لما لا يعجبه من مواقف وسياسات. والفيصل في التفضيل هو رسوخ قيم الدولة وتقاليد الأقدم من الحاكم، أيا كان لقبه أو صلاحياته، فلا يختطفها ويذيق الشعب مرارة الاستبداد.

وقد اكتوت شعوب بنيران الجمهوريات، وكانت العودة إلى العلم الملكي اللببي بعد الخلاص إلى معمر القذافي. وكاد انقلاب الجنرال بوقفير يطيح الملك الحسن الثاني. وسالت صديقا مغربيا ماذا لو نجح؛ فرد بسخرية: كنا سنصير جمهورية استبدادية.

وفي كتاب "محمد موسى شفيق.. السياسي ورجل الدولة.. آخر رئيس وزراء في عهد الملك محمد ظاهر شاه آخر ملوك أفغانستان" تقدم عفاف السيد زيدان العديدة السابقة لكتابة الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر بالقاهرة وجها آخر لأفغانستان الملكية، بتقصيها سيرة رجل "تكاه القاصي والداني"، إذ حاكمه القتل صوريا عام 1978 في حوار مقتضب، واتهموا ببيع مياه نهر، حين كان رئيسا للوزراء عام 1973.

وكان شفيق المولود عام 1929 قد جاء إلى مصر عام 1952، والتحق بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، وفي الوقت حصل على الماجستير من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وعاد عام 1955 إلى أفغانستان، وغادرها عام 1956 للدراسة بجامعة كولومبيا.

وعاد شفيق من الولايات المتحدة بعد نيله الماجستير في القانون الدولي، وعين وكيل لوزارة العدل، وكان الأمين العام لمجلس صياغة الدستور عام 1964. وعين مستشارا لوزارة الخارجية، وبدأ نزع البلدين حول مياه النهر عام 1872، وتوالت المبادرات والاتفاقيات التي انتهت عام 1973 بتوقيع معاهدة تضمنت موافقة أفغانستان على عدم القيام بأي شيء يصرم إيران كليا أو جزئيا من حقوقها المائية من نهر هلمند.

وكانت المقابر الجماعية تحفر من أجل ضحايا الليل، إذ تصل عربات النقل بحمولاتها من "المساجين الأحياء والأسوات، ومن هم بين الحياة والموت، ثم تلقيهم في الأرض المحفورة"، وتتولى الجرافات إهالة التراب عليهم، ولم يستدل على قبر الرئيس محمد داود وأسرته.



حقة مأساوية

## عودة الجنود الأميركيين إلى وطنهم حلم وليست استراتيجية

### السياسة الاستباقية في التصدي للإرهاب تبدأ من التمركز عسكريا في الخارج



#### استراحة مؤقتة من الحرب

تكون لها مصالح كبيرة، حتى لو تغيرت هذه المصالح بشكل كبير.

ويسارع الرئيس الأميركي بالقول إنه يستعيد قيادة الولايات المتحدة في الناتو ومع ذلك لم تكن هناك شكوى من أن بلاده لديها قوات في ألمانيا لأكثر من 75 عاما منذ تدمير الرايخ الثالث والنشء نفسه. ينطبق على اليابان وكوريا الجنوبية. ومع بقاء القوات الأميركية في تلك الأماكن، يمكن أن يقول ترامب إن بايدن لا يتبع خطابهما المشترك لإنهاء "الحروب الأبدية".

ويمكن أن تكون عمليات الانتشار طويلة المدى في الأماكن الخطرة مطلوبة بسبب التهديدات طويلة المدى للولايات المتحدة لأنها لم تخلق التهديدات والانسحاب لن يجعلها تختفي، إذ تختلف الحرب ضد الإرهاب عن الحروب التقليدية في القرن التاسع عشر، ليس لأن الولايات المتحدة هي من فعلتها ولكن لأن الإرهابيين فعلوا ذلك. وحتى الحروب التقليدية تتغير، كما هو الحال في الفضاء الإلكتروني وأنواع الحروب غير المتكافئة والهجينة التي يتم تطويرها ونشرها من قبل الأعداء على أمل الاستفادة من نقاط قوتهم الأضعف ضد نقاط الضعف الغربية.

وكما هو معلوم فإن الحرب ضد الإرهاب مفتوحة، كما كان النضال ضد الشيوعية الدولية بلا نهاية. كثير من نفس الأشخاص الذين كرهوا الاضطراب إلى الدفاع عن الولايات المتحدة في الحرب الباردة، وخلفائهم الأيديولوجيين، يكرهون الاضطراب إلى الدفاع عن البلاد ضد الإرهاب. ويقول بولتن إنه "من المؤسف أن أعداء الولايات المتحدة لن يمنحوها فترة راحة".

#### مراقبة إيران وباكستان

من بين الأسباب الأخرى للبقاء في أفغانستان مراقبة المخاطر الناشئة عن إيران وباكستان، وهذه حالات واضحة حيث لا بد من القرب الجغرافي. فاستمرار طهران في برامج الأسلحة النووية والصواريخ الباليستية، ودعمها الثابت للجماعات الإرهابية مثل الحوثيين وحماس وحزب الله، ونشاطها العسكري التقليدي الحربي في جميع أنحاء الشرق الأوسط يجعلها قوة مهيمنة إقليمية طموحة أصبح جيرانها الغربيون قلقين بشأنها.

وتعد أفغانستان موقعا ممتازا وقريبا لمراقبة الأمور داخل إيران. وعلاوة على ذلك، فإن سيطرة طالبان، والتي يمكن أن تعمل على تقسيم وشكمت الحكومة الأفغانية، ستزيد بلا شك من نفوذ طهران في غرب أفغانستان كما كان من قبل، مما يضر بمصالح الولايات المتحدة.

وقد يكون الانسحاب الأميركي أكثر خطورة في ما يتعلق بباكستان، وإذا استأنفت طالبان سيطرتها في كابول، فلن يؤدي ذلك إلا إلى تشجيع حركة طالبان الباكستانية والمتطرفين الإسلاميين الآخرين، بما في ذلك داخل أجهزة المخابرات الباكستانية. ومنذ التقسيم عام 1947، لم تكن لباكستان أبدا حكومة مستقرة يمكن الاعتماد عليها.

وتثبت أفغانستان صحة هذه النقطة، فإذا عادت طالبان إلى السلطة في كل أو معظم البلاد فإن النظرة العالمية تقريبا في واشنطن ستظل حالة من شبه اليقين من أن القاعدة وداش وغيرهما ستستأنف استخدام أفغانستان كقاعدة للعمليات. ويرز ذلك عبر كلام بايدن في الـ 14 من أبريل الجاري حين قال إن "الإرهاب قد تطور منذ هجوم 2001 على طالبان وأن التهديد أصبح أكثر تشتتا وانتشارا في جميع أنحاء العالم".

وهذا حقيقي، نظرا لأن الولايات المتحدة وحلفاءها في حلق شمال الأطلسي (ناتو) حرموا القاعدة إلى حد كبير من الملاذ الآمن المفضل لديهم لمدة 20 عاما. وكان على الإرهابيين الذهاب إلى أماكن أخرى بحثا عن مناطق فوضي شرق أوسطية أو أفريقية، لأنه لم يكن لديهم خيار آخر، لكن ظلت أفغانستان هي نقطة الانطلاق المفضلة لديهم.

ويدرك بايدن خطر أن بلاده لا تستطيع "ضمان" عدم استخدام الإرهابيين مجددا لأفغانستان، التي تسيطر عليها طالبان كقاعدة لضرب الولايات المتحدة، لذلك أكد أن واشنطن ستحتفظ "بقرائنا في مكافحة الإرهاب والأصول الكبيرة في المنطقة" للحماية من أي هجوم في المستقبل.

ومع ذلك، فإن الجغرافيا تظهر أن بايدن مخطئ في الاعتقاد بأن الولايات المتحدة يمكن أن تمتلك أدوات فعالة نسبيا لمكافحة الإرهاب وجمع المعلومات الاستخباراتية بعد مغادرة أفغانستان، لاسيما وأن أسامة بن لادن استقر هناك بعد طرده من دول أخرى، لأن بُعد أفغانستان جعلها جذابة. كما أن الخارطة لم تتغير.

وبالنسبة إلى أنصار الانسحاب، فقد سر عقدا من الزمن من القتال الدامي اليومي الذي لا نهاية له. لكن هذه الرواية خاطئة، لاسيما خلال السنوات السبع الماضية التي أعقبت انتقال قوة المساعدة الأمنية الدولية التابعة لحلف الناتو إلى عملية الدعم الحازم.

ولا تزال أفغانستان خطرة بشكل غير عادي، وكانت هناك إصابات لكن آخر وفاة لأحد الجنود حدثت في فبراير 2020. وعلاوة على ذلك، لا يوجد دليل على توفير مالي حقيقي من سحب

وكان ذلك جليا خلال حملته الانتخابية وترجم ذلك في وقت سابق هذا الشهر حين قال "حان الوقت لإنهاء الحرب الأبدية. يجب أن نركز على سبب زهابنا في المقام الأول: لضمان عدم استخدام أفغانستان كقاعدة لهاجمة وطننا مرة أخرى. لقد فعلنا ذلك. لقد حققنا هذا الهدف". وأشارت النخبة الإعلامية حينها إلى دعم شعبي واسع النطاق لإعادة القوات إلى البلد.

وتتفق جميع الأطراف بمن فيهم الأكاديميون والديمقراطيون بالإجماع تقريبا، وحتى بعض الجمهوريين، على أن الأميركيين سئموا من الحروب في أفغانستان والعراق وسوريا وملا من الإرهاب ومن الشرق الأوسط، لكن من وجهة نظر جون بولتن، الذي عمل مستشارا للأمن القومي في إدارة ترامب يبدو أن هؤلاء جميعا

مخطئون. وفي الأونة الأخيرة، أعلن المعلقون الإعلاميون أن بايدن يحكم اليسار في الشؤون الداخلية أكثر بكثير مما توقعه معظم الناس، وربما يتحقق الشيء نفسه على الساحة الدولية، وقد يتحول إلى جورج ماكغفرن المعاصر المرشح الديمقراطي للرئاسة في حلبة فينتام والذي كانت مقولة "أميركا، عودي إلى الوطن" شعاره، ولكن هذه الدعوة حلم وليست استراتيجية، وهو حلم لا يبدو أنه سينتهي على خير. لكن ما أسباب ذلك؟

#### ضعف التمشي الاستراتيجي

الهدف الأساسي للأمن القومي الذي يجب على جميع قادة الولايات المتحدة السعي وراءه هو تحديد المصالح الاستراتيجية لبلدهم وكيفية حمايتها. ويقول بولتن في تحليل نشرته مجلة "فورين بوليسي" الأميركية إنه يجب على السياسيين بعد ذلك تبرير الكيفية التي يقترحون بها للدفاع عن البلاد ضد التهديدات الخارجية وحشد الموارد اللازمة.

وعندما لا يشرح القادة الحقائق الصعبة، تبرز عزيمة الجمهور، والتي يستخدمها السياسيون بعد ذلك لتبرير ترددهم في اتخاذ قرارات صعبة ومن ثم يستبدل السياسيون الضعفاء السبب بالنتيجة، ويفرضون المسؤولية على الناس بدلا من أنفسهم. ففي عهد ترامب والرئيس الأسبق باراك أوباما، وربما الآن، بايدن، لم يكن الجمهور ضعيفا ولكن قادته، الذين لم يكونوا مستعدين أو غير قادرين على القيام بعملهم.



جون بولتون  
من المؤسف أن أعداء الولايات المتحدة لن يمنحوها فترة راحة

